KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

التوالي الدَّلالي في خطب الإمام علي "ع"

Semantic sequence in the sermons of Imam Ali peace be upon him

أ.د. جليلة صالح العلاق
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة
أ.م.د. عدوية حياوي الشبلي
كلية العلوم السياسية/ جامعة الكوفة
Prof Dr. Jalila Saleh Al-Alaq
Kufa Studies Center/University of Kufa
Asst Prof Dr.Adawiya Hayawi Al-Shibli
Faculty of Political Sciences/University of Kufa

DOI: https://doi.org/10.36322/jksc.v1i74(A).17641

الملخص:

ورد مصطلح (التوالي) عند المحدثين على نطاق ضيق جداً لم يأخذ بمفهومه ما بني عليه هذا البحث من دلالة اصطلاحية مبتكرة لمفهوم التوالي، ويستند في معناه إلى الأصل اللغوي (تلا)، وهو فعل ماضي بمعنى تبع، ويعني في هذا البحث تتابع الأساليب والتراكيب والألفاظ لبيان معنى واحد أو معان متشابهة وتأكيدها؛ لأهميتها ولضرورة إيصالها بطريقة غير مباشرة كنوع من أنواع سياسة الخطاب أو استراتيجياته.

وقد عرف الإمام علي (ع) بعبقرية البلاغة والفصاحة، ولاسيما في الخطاب؛ لذا اتجه الباحثون بعلم الدلالة إلى خطبه المتنوعة؛ ليجدوا فيها كل ما يصبو إليه الباحث في علم الدلالة الحديث من تنوع استراتيجيات الخطاب المباشرة وغير المباشرة، ومنها التوالي الدلالي وهو موضوع البحث.

الكلمات المفتاحية: التوالي الدلالي، الخطب، الإمام علي (ع) .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

Abstract:

Consecutive: A term that does not appear in its conventional meaning among the hadith scholars. Its meaning is based on the linguistic origin (recited), which is a past tense verb meaning followed. In this research, it means a succession of methods, structures, and words to clarify one meaning or similar meanings and confirm them. Because of its importance and the necessity of communicating it indirectly as a type of discourse policy or strategy; Therefore, it is one of the terms that are considered innovative in semantics in this research.

Imam Ali (peace be upon him) was known for his genius of eloquence and eloquence, especially in speech. Therefore, researchers turned to the semantics of his various sermons. To find in it everything that the researcher in modern semantics aspires to, including the diversity of direct and indirect discourse strategies, including semantic sequence, which is the subject of the research.

Keywords: Semantic sequence, sermons, Imam Ali

المقدمة:

ذهب بعض علماء الدلالة في العصر الحديث إلى إطلاق مصطلح (التوالي) على تسلسل وتتابع بعض الدلالات التي ينتجها النص ، فأطلقوا هذا المصطلح على توالي الأخبار أو الصفات أو الأحوال في النص ، وذلك في معرض حديثهم عن التقديم والتأخير ، أو رتبة الأشباه ، إلا أنَّهم لم يتطرقوا الى

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

الحديث عن توالي الأساليب النحوية والبلاغية وتناوبها في أسلوب الخطاب في النص ، وما يمكن أن ينتج عنه من دلالات نصية شاملة لأساليب اللغة ، ولا سيما على مستوى الخطاب ، وهذا ما يحاول البحث إثباته من خلال تحليل نماذج من كلام الإمام علي (ع) الغنية بالأساليب المتتالية ؛ لإثبات دلالة أو معنى واحد وتأكيده بأساليب متنوعة ومتعددة على التوالي .

الإشكالية:

يطرح البحث إشكالية وجود عبقرية بلاغية وأسلوبية في الخطاب، أدت الى وضوح الكفاءة التداولية ، وتنوع استراتيجيات الخطاب وتداخلها ، وتتابع أو توالي الأساليب اللغوية والبلاغية ، مما أدى الى الثراء الدلالي للنصوص الخطابية عند الإمام علي (ع) ، مما حدا بالباحث الى ضرورة استناده الى أكثر من آلية أو استراتيجية في التحليل ؛ للوصول الى المعنى الحقيقي في خضم هذا الثراء الدلالي ، ومن أهم هذه الاستراتيجيات التحليلية هو كشف التوالي الدلالي في النص .

الهدف:

يهدف البحث الى تقصي وتحليل الجوانب الدلالية في بعض خطب الإمام علي (ع) ، من خلال كشف استراتيجيات الخطاب في النص .

الفرضية:

يفترض البحث وجود تداخل وتتابع بين الأساليب اللغوية في الخطاب المباشر وغير المباشر، في ضمن استراتيجيات الخطاب التوجيهية والتلميحية والإقناعية ، وكشفها عن طريق التوالي الدلالي في النص .

الإجراءات:

لغرض تحقيق أهداف هذه الدراسة تم اتباع الإجراءات الآتية :

١. تحليل النص في ضوء استراتيجيات الخطاب، وما تتضمنه من أساليب لغوية على مستوى النحو والبلاغة .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٢. تقصي التتابع والتوالي بين الأساليب اللغوية والألفاظ .

الحدود:

يقتصر البحث على تحليل نماذج منتقاة من خطب وحكم الإمام علي (ع) تتضح فيها ملامح التوالي الدلالي على صعيدي التراكيب والألفاظ .

القيمة:

يهتم البحث بجوانب تحليلية تداولية تنتجها المدرسة الأسلوبية الحديثة في التحليل، ولا سيما في علم اللسانيات الحديث؛ لذا فان البحث ذا قيمة علمية في المجالات اللغوية والدلالية؛ نظراً لطرحه مصطلح تحليلي مبتكر يتمثل بالتوالي الدَّلالي، ويستند الى مصطلح متداول عند بعض علماء اللغة المحدثين على نطاق أضيق.

المبحث الأول: التوالي الدَّلالي النحوي والبلاغي في خطب الإمام علي (ع):

يعرف اللغويون مصطلح (التوالي) : بالتعاقب والتتابع والتلاحق ، فتوالت الانتصارات : تتابعت ، وتوالي الأيام والسنين تعاقبها. وقولهم تتلى :تتبع ، وتلو الشيء : الذي يتلوه ، وهذا تلو هذا : أي تبعه . ووقع كذا تليه ، أي عقبه .وناقة متلية : يتلوها ولدها :أي يتبعها [١] .

ويتفق المفهومان اللغوي والاصطلاحي لكلمة التوالي ، فكلاهما يدل على التلاحق والتتابع ، لغة واصطلاحاً ، فيذهب بعض علماء الدلالة المحدثين إلى إطلاق مصطلح (التوالي) على تسلسل وتتابع بعض الدلالات التي ينتجها النص ، وبهذا أطلق بعضهم هذا المصطلح على توالي الأخبار أو الصفات أو الأحوال في النص [٢]، وتتضح فكرة هذا المصطلح في خطب الإمام علي (ع) ؛ لأنها على درجة عالية من الفصاحة والبلاغة ، تنوعت فيها أساليب الكلام وتتابعت وتوالت صور التعبير بشتى الأساليب النحوية والبلاغية ، وعليه يختص هذا المبحث من البحث بصور التراكيب النحوية والبلاغية ودلالاتها في خطبه (ع) ، مستندا الى تحليل الباحث لاستراتيجيات الخطاب ، ومن أهمها استراتيجية التوالي الدلالي ،

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

مثال ذلك قول الإمام (ع) في إحدى خطبه ، واصفاً تخاذل أصحابه لنصرته على الرغم من مداراته لهم ومراعات ظروفهم المختلفة ، قائلاً :

" كَمْ أُداريكمْ كما تُدارى البِكارُ العَمِدةُ ، والثياب المتداعية ، كلَّما حيصَتْ من جانبٍ تهتكتْ من آخر " [٣] .

بدأ الإمام كلامه باستعمال أداة لغوية للتلميح الى قصده، وهي (كم الخبرية) ، وهي آلية من آليات التلميح التي اقتضاها السياق هنا ، فلم يُرِد الإمام (ع) إخبارهم بمقدار مداراته لهم ، بل ألمح إليهم بأن حالهم قد بلغ حداً لا يطاق ، فأخطاؤهم كثيرة ، ومع كثرتها كان الإمام (ع) يصفح عنهم ، وهذا ما يلزم استعمال (كم الخبرية) للإخبار عن الكثرة ، وهي آلية من آليات الاستراتيجية التلميحية في الخطاب .

وتتضح الكفاءة اللغوية عند المرسل باستعمال الفعل الإنجازي المباشر (أُداريكم) في سياق تلميحي ، وقد أردفه بكثير من العوامل التي تختزنها قوالب الكفاءة التداولية ، ومنها توظيفه لأسلوب تلميحي آخر ألا وهو (التشبيه) ، إذ شبه هذه المداراة بمدارات البِكار العَمِدة : وهي الناقة ، والثياب المتداعية ، متكئاً على خلفيتهم المعرفية المشتركة ، اللغوية وغير اللغوية فضلاً عن توظيف المرسل إليه لقدراته العامة العقلية والاستنتاجية .

وقد أبلغ الإمام قصده للمتلقي بهذه الحِرَفية الأسلوبية، عن طريق توالي الدلالات اللغوية بين الأساليب اللغوية والبلاغية وتداخلها مع بعضها في أسلوب الخطاب، وهذا ما لا نجده عند غيره من الخطباء في الإقناع والتأثير .

وتتظافرُ الآليات والأدوات الحجاجية اللغوية والبلاغية في استراتيجية الإقناع عند الإمام علي (ع) ؛ لتكون أكثر وقعاً وأقرب الى تحقيق الغاية المبتغاة من الخطاب الحجاجي، وهي الإقناع ، أو على الأقل مكاشفة المرسل إليه بالحقائق في ضوء سلطة الإمام الدينية والسياسية ، والإقناع سلطة أيضاً "عند المرسل في خطابه ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت ان تقنع المرسل إليه ، إذ لا تحقق استراتيجية

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

الإقناع نجاحها إلا عند التسليم بمقتضاها ، إما قولاً أو فعلاً ، وما جعل الإقناع سلطة مقبولة ، هو كون الحجاج هو الأداة العامة من بين ما يتوسل به المرسل من

أدوات أو آليات لغوية "[٤] ، كما في قوله :

" أكلَّما أطلّ عليكم مِنسَر من مناسر أهل الشام ، أغلق كل منكم بابه، وانْجَحَرَ انْجِحار الضَبّةِ في جحرِها ، والضبعِ في وِجارِها " [٥] .

إذ لا يمكن أن يؤثر الإقناع في المتلقي من خلال المباشرة الصريحة في الخطاب، وهنا تأتي عبقرية الخطيب وقدرته في توظيف الأساليب النحوية والبلاغية وتواليها في إيصال الفكرة الى المتلقي ، إذ توالت دلالات الكناية بعد التشبيه ؛ لتأتي بعدها الأفعال الكلامية : الاستفهام والشرط ثم الاستعارة والتمثيل ، وتكمن هذه العبقرية في توظيف كل هذه الأساليب النحوية والبلاغية لإيصال معنى واحد وهو التخاذل .

وهذا الأسلوب إن دلَّ على شيء إنّما يدلُّ على ما يتمتع به الإمام (ع) من إمكانات ومعارف يتمكن بها من مثل هذه المزاوجة في خطاب واحد، لا سيما وإنَّ الخطاب شفوي يتميز بالحضور العياني للمرسل إليه إذ نجده (ع) يوظف أسلوبين آخرين في ضمن الاستراتيجية التلميحيّة للدلالة على قصده ، وهما الاستفهام والشرط ؛ للدلالة على التعجب ، فقد أورد أسلوبين متواليين في الدلالة على معنى واحد وهو التعجب ، وقد تصدرت الهمزة جملة الشرط (أكلما أطل عليكم منسر من مناسر أهل الشام) ؛ ليأتي جواب الشرط الذي تألف من أفعال إنجازية مباشرة وغير مباشرة إذ جاء الفعل الإنجازي المباشر (أغلق) في قوله : (أغلق كل رجل منكم بابه) ، بأسلوب صريح للتعبير عن تخاذلهم عن الخروج .

وقد بدأ كلامه بأسلوب استفهامي شكَّل مع العلاقة الشرطية في تركيب مترابط نمطاً يبدو كأنه أسلوب واحد له من السمات الدلالية والإيقاعية ما يستشعر معه قوة الخطاب وغضب الخطيب وامتعاضه مما كانوا عليه من التخاذل، فذكر المقدمة الحجاجية لتأتي النتيجة في السياق الاستفهامي ذاته لتبين حالهم بعد هذه المقدمة .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي ٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وبهذا يمثل الاستفهام هنا الحجة بعينها ، وقد وظفه الإمام لمناسبته للسياق ، إذ وجد فيه الآلية الأنسب في مثل هذا المقام ؛ لأنه " أنجح أنواع الأفعال اللغوية حجاجاً "[٦]، وإن كان غير جازم بتعاونهم معه واستجابتهم لما يراه ، وهذا الأمر يجعله ممتعضاً مما هم عليه ، إذ أن " معرفة المتكلم بموافقة المخاطب أو رفضه أجوبته لا تكون إلا من باب التوقع الذي تحدده معرفة الشخص ، كما تحدده كذلك ظروف المقام بما فيها المسألة المطروحة ، ولا يكون الاتفاق والاختلاف إلا في درجات متفاوتة في القوة والضعف ، إن صوغ السؤال بهذه الطرق يحتكم أساساً إلى ما يتصوره المخاطب من علاقات اتفاق أو اختلاف تربطه بغيره وبالعالم "[٧].

وقد دلَّ الخطاب هنا من خلال شكله اللغوي على إنجاز قوة الخطاب الحرفية (السؤال) ، إلا أن الدلالة الشكلية لا تكفي ، فالاستفهام لم يكن هو القصد المباشر في الخطاب ، بل كان القصد التعجب والتحقير والتهكم ، وهذا ما تدل عليه الأدوات اللغوية الدالة على قصد المرسل ، وهنا تتأتى فائدة التوالي الدلالي ؛ للانتقال بين الأساليب من الاستفهام الحقيقي الى المعاني المجازية .

أما قوله (أغلق كل منكم بابه) ، فلهذه العبارة معنى مباشراً ، وقوة إنجازيّة حرفية تدل عليها ألفاظها وفقا لما تحمله من دلالة في أصل اللغة ، إلا أن السياق الذي ورد فيه هذا التركيب يعطيه معنى آخر ، ففيه لا يكون القصد الوحيد عند المرسل إغلاق الأبواب ، وإن كان أحد المقاصد ، فليس هو القصد الظاهر والرئيس ، إذ يتضمن الخطاب قصداً آخراً وهو (التخاذل) ، الذي لم يعبِر عنه الإمام بشكل مباشر ، وإنّما صاغ له تعبيراً آخراً للتلميح عن قصده ؛ ليكون كناية عن تخاذلهم ، إذ تأتي آلية الكناية في البلاغة للدلالة على مثل هذا القصد الذي يستلزم الخطاب فيه عملاً ذهنياً من المرسل كما يستلزمه التأويل من قبل المرسل إليه ، معتمدة في ذلك شأنها شأن الآليات الاستراتيجية غير المباشرة على توظيف البعد الثقافي[٨] .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ويؤتى بها عندما يريد المتكلم التعبير "عن شيء معين لفظاً كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه"[٩] ، إذ يريد "إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه "[١٠] ، فهي نمط من أنماط المجاز والاتساع في القول والانزياح باللفظ عن الظاهر[١١] ، "وسمي هذا النوع كناية ؛ لما فيه من إخفاء وجه التصريح "[١٢] ، ويؤتى بها للإبهام عن بعض السامعين ، أو لشناعة المعبر عنه ، أو اختصاراً أو فصاحة ؛ ولأنها أبلغ من التصريح قدِم عليها الإمام (ع) " توسعاً واقتداراً واختصاراً ثقة بفهم المخاطب "[١٣] .

ولهذا التعبير قوة إنجازية حرفية في الظاهر، وهي الإخبار إلا أن الإخبار ليس هو القصد الرئيس ؛ لأن الدلالة الحقيقية المستلزمة من الخطاب تظل ملازمة له ، وهي التدليل على تخاذلهم ؛ ذلك أن من لوازم التخاذل عن المواجهة غلق الباب والاختباء وراءها اختباء الضبة في جحرها والضبع في وجارها .

وتأتي هذه الكناية، وما تبعها من استعارات وليدة الخطاب والسياق الذي ورد فيه مستثمراً الخلفية المعرفية لدى المتلقي والثقافة المشتركة بينهما ، إذ عبر الإمام (ع) عن حالهم بأفعال إنجازية غير مباشرة ، مثل: (انجحر) مؤكداً إياه بالمفعول المطلق انجحار؛ لبيان نوع انجحارهم تحقيراً لهم؛ لأن هذا الفعل عرف بنسبته الى كائنات حيوانية لينتقل في داخل السياق من حقله الدلالي الذي عرف به الى حقل دلالي آخر عن طريق توظيف الإمام له ؛ لما يحمله من أبعاد دلالية تتفق وحال هؤلاء القوم .

ولا يخفى ما لهذا الاستعمال الاستعاري من قوة إنجازية في الخطاب، وما له من دور في التعبير عن قصد الإمام وتذمره من تخاذلهم، فأورد هذا الفعل مشبهاً دخولهم في ديارهم بانجحار الضبة والضبع ، معتمداً على مبدأ التعاون بينه وبين المتلقي من خلال معارف مشتركة لغوية وغير لغوية تمكنه من تأويل الخطاب التأويل المناسب للسياق .

وعليه يتضح كيف أنتج الإمام خطابه وأبلغ المرسل إليه إرادته بالاستراتيجية التلميحية ، بالاعتماد على ما يمتلكه المتلقي من معرفة بدلالة الكلمات الحرفية وأبعادها الدلالية والإيحائية ، فقد سوغ هذا الاستعمال

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

مكانة الإمام وسلطته وعلو ذاته وتفوقه عليهم ، إذ جعله يذكر معايبهم بالتلميح والتعريض بهم واحتقارهم ، بل وتصنيفهم في طبقة أدنى من خلال مفهوم الخطاب .

هذا من جانب ومن جانب آخر هو العدول عن محاولة إكراه المرسل إليه لإنجاز فعل قد يكون غير راغب في إنجازه ، ولا يريد تنفيذ ما يريد[١٤]، بدليل ما افتتح به خطبته في قوله : (كَمْ أُداريكُم) ، يحدث ذلك عندما يمتلك المرسل سلطة .

وفي المقطع الأخير نجد الإمام يبين حال من يعتمد عليهم في نصرته ، وهي الذلة ، إذ يقول (ع) :

" الذليلُ والله من نصرتموه! ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل" [١٥]، مستعملا أسلوب التقابل المعنوي أو التخالف إذ ذكر حالين متناقضين في ثنائية متضادة جمع فيها بين الاسم (الذليل) والفعل (نصرتموه) ، فمن ينصر ينبغي أن يكون رابحاً عزيزاً ، ومن لا ينصر يكون خاسراً ، ولما كان الذل من لوازم الخسارة ، وصف به حال من ينصره هؤلاء القوم ، مؤكداً ذلك بالقسم بلفظ الجلالة (الله) الذي كرره في قوله: "انكم والله لكثير في الباحات ، قليل تحت الرايات" [١٦].

وفي هذا الخطاب الحجاجي يكثف الإمام أدوات التوكيد؛ لأنها من وسائله الفاعلة في إلقاء الحجج ، وإثبات دعوة المتكلم التي وظّف لها عدد من الآليات الحجاجية شبه المنطقية، التي تتفق وطبيعة الخطاب ، وفي مقدمتها (القسم) ؛ لما له من أثر في السياق الذي يرد فيه ، إذ استعمل (إن والقسم بلفظ الجلالة ، واللام) في إقراره الخبر الإنكاري الذي يشير الى كثرتهم في الباحات وقلتهم في الساحات ؛ لتوقعه إنكارهم ذلك وفقا للاستلزام الحواري أو الضمني المتوقع؛ لأنه عارف بصفاتهم وطبيعة تصوراتهم .

وقد بين حالهم بأسلوب وظّف له أكثر من أداه توكيديّة، وهي (إن والقسم واللام) ؛ لزيادة التأكيد على حالهم الذي يبينه من خلال صورتين متناقضتين متقابلتين ، فهم كثر في الباحات و التجمعات ، وقليل تحت الرايات في المعارك والمواجهات ، وقد ناب اللفظان (كثير وقليل) عن الإحصاءات المستعملة حديثاً ، والتي تعدّ من الآليات الحجاجية شبه المنطقية ؛ لدلالتها على قوة الحجة في الخطاب .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي ٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ثم يقول (ع): "وإني لعالمٌ بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكنّي– والله – لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي"[١٧].

مبينا قدرته على إصلاح حالهم ، ثم ينتهي الى حالين متناقضين : فإصلاحهم يؤدي الى إفساد نفسه ، وهذا ما يقسم عليه الإمام ويؤكده مستعملاً الأداة (لكن) ، وهي إحدى الروابط الحجاجية التي تستدرك على الكلام السابق الذي أورده الإمام وهو كلام مثبت ، وقد أكده بأكثر من أداة توكيدية ، وهي : (إن واللام) ؛ لتاكيد الفعل (عالم) ، وقد استدركه بـ(لكن) التي أورد بعدها كلاماً منفياً إذ نسب حكماً ، وهو عدم إصلاح القوم مقابل إفساد نفسه ، وهو حكم مخالف للمحكوم عليه قبله ، وهو علمه بما يصلحهم ويقيم اعوجاجهم ، فكان إخبار الإمام بالحكم الأول إيجاباً استلزم أن يكون الحكم بعد (لكن) سلباً ؛ لأنها لا تقع إلا بين متناقضين ، إذ تتوسط كلامين متغايرين نفياً وإيجاباً [١٨]، ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو إن التركيب الأول يمثل درجة أقل من الناحية الحجاجية أما الطرف الآخر فيمثل الدرجة العليا بالنسبة لدعوة إصلاحهم ؛ لذا رتب حججه موظفاً تقنية الانعكاس في الأداة (لكن) ، فعند سماع الطرف الأول في الخطاب يتوقع المتلقي أن يبين الطرف الثاني كيفية الإصلاح والتقييم ، أو الإقرار بالقيام به ؛ لأن علم الإمام بما يصلح ويقيم يشير الى أن هناك إصلاح ، ولا سيما وأن الإمام (ع) يمثل السلطة الشرعية والسياسية في الوقت ذاته ، إلا أن استعمال (لكن) الاستدراكية يستوقف المتلقي لتوقع نتيجة مخالفة لتصوره ، وفقاً للمعطيات المتقدمة فتأتي النتيجة غير المتوقعة لتبرر الحكم بآلية حجاجية أخرى ، موظفاً فيها التضاد الذي أورد فيه الثنائية المتضادة المتمثلة بالتركيبين المتضادين المتقابلين في قوله :

(لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي) ؛ "ولأن السلم الحجاجي يعود في ترتيب حججه والمفاضلة بين قواها الى رؤية المرسل فإن الحجة الواحدة قد ترتقي الى أعلى السلم من وجهة نظر معينة ، كما قد تدنوا الى أدنى السلم حسب وجهة نظر أخرى "[١٩]، يمكن تمثيل قول الإمام (ع) بالسلم الآتي :

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي ٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

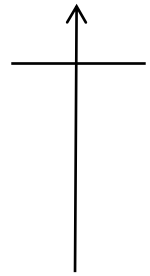

وهنا تأتي أهميه التوالي الدلالي في إثبات الحجج؛ وذلك لتباين مفاهيم المتلقي وطاقته في التأثير والتأثر بهذا الخطاب .

ثمَّ يقول (ع): "أذرع الله خدودَكم وأتعس جدودكم، لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق"[٢٠].

وهنا نجده (ع) يدعو عليهم بأن يذل الله وجوههم ، وأن يحط حظوظهم ، وأن ينتهي أمرهم الى التعس : وهو الانحطاط والهلاك والعثار ، ثم يبين حال آخر من أحوالهم بأفعال إنجازية مباشرة تمثلت بالنفي الذي خرج الى التعجب بأسلوب ينم عن غضب الإمام واستيائه منهم ، مستعملاً الاستراتيجية التوجيهية في الخطاب ، ويأتي توظيفه لإحدى الأفعال الكلامية (النفي) كآلية لغوية حجاجية الى جانب الآلية البلاغية الأخرى التي مثلها البديع بإحدى فنونه ، الا وهو (الطباق) ، وقد تصدر (النفي) الأفعال التي نسبها الإمام إليهم فهم (لا يعرفون الحق كمعرفتهم الباطل ، ولا يبطلون الباطل كإبطالهم الحق) ، ليشكِّل النفي الحجة بعينها ، مبيناً قصده بأسلوب تلميحي غير مباشر ، بدلاً من الأسلوب التقريري المباشر ، وفي مثل هذا السياق يتوقع الإمام عدم اتفاقهم معه بما يطرح ؛ لأن كل أمرئ يرى ما يفعله حقاً ، ولا يمكن أن يُقِر بأن ما عليه هو الباطل ؛ لذا جاء اختياره لهذا الأسلوب بدلاً من الأساليب الأخرى ، كالاستفهام مثلا ، الذي يتوقع منه جواباً ضمنياً وفقاً لما يتطلبه الاستلزام الحواري المتوقع .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي ٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وحينما أراد الإمام (ع) بيان تكالب القوم عليه بعد بيعته، ومن ثم قتاله أهل الشام بدأ كلامه بإيجاز قائلا: " فتداكوا عليَّ تداك الإبل الهيمِ يومَ ورودِها ، قد أرسلها راعيها ، وخُلعت مثانيها " [٢١] .

واصفاً حال القوم الذين تزاحموا عليه ليبايعوه رغبه فيه مشبهاً إياهم بالإبل الشديدة العطش يوم ورودها الماء ، قد تحررت من حبالها ، موظفاً التشبيه البليغ في عقد صلة بين صورتهم عند تكالبهم عليه ، وصورة تداك الإبل فجاءت هذه الصورة الحسية المألوفة في أعقاب المعنى الذي يريد إيضاحه لبيان الحال بطريقة أكثر تأثيراً وإقناعاً ؛ لأن المرسل حين يعقد هذه التشبيهات فإنه يتجاوز الدلالة الحقيقية منتهكاً بذلك المدلول اللفظي على المستوى المعجمي، كما في (تداكوا)؛ ذلك أن طرفي التشبيه يلتقيان ويتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة [٢٢]؛ ولأن توظيف التمثيل في الحجاج يجعل " برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر"[٢٣]وظّف الإمام التصوير بالتشبيه المألوف ، والذي يقوم على تحقيق العلاقة التلازمية بين المشبه والمشبه به ؛ لبيان الجهد الذي لم يورده الإمام في النص ، وإنما جاء بتصوير غير بعيد عن الذوق المألوف ، فكانت الصورة قريبة من أذهانهم عن طريق التشبيه البليغ ، وهو من أقوى أنواع التشبيه [٢٤].

المبحث الثاني: التوالي الدَّلالي اللفظي في خطب الإمام علي (ع) :

يعرض البحث تنوع استراتيجيات الخطاب القائمة على التوالي الدلالي، فينتقل من التوالي في الأساليب النحوية والصور البلاغية الى التوالي في المصطلحات والألفاظ ، وهذا يظهر واضحاً في استرسال الإمام في خطبته التي تضمنت توالياً دلالياً في أساليب النحو وصور البلاغة الى أن وصل الى التوالي الدلالي اللفظي في قوله (ع) : "حتى ظننتُ أنّهم قاتليّ أو بعضهم قاتل بعض لديّ، وقد قلبتُ هذا الأمر بطنه وظهره حتى منعني النوم" [٢٥].

وانسجاماً مع القاعدة الظنية في قوله (ع) : (حتى ظننت) ، نجد أنّ التوالي في دلالة التبليغ بالقدر الذي يحدده سياق هذا اللفظ يتناسب مع ما تقتضيه محتويات الخطاب في التعبير عن مقدار الحقيقة التي

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي ٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

تصور رغبته في القتال ، وشدة حرصهم على نصرة الإمام ، إلا أن الواقع يناقض حقيقه ما صور النص ، بدليل استعمال الإمام للفظ (ظننت) بدلاً من أفعال اليقين الأخرى مثل : (علمت أو دريت) ، وهذا اللفظ (ظننت) يؤكد أهمية التوالي والتأكيد على المعنى الواحد في ألفاظ وأساليب متعددة ، وهذا ما يؤكده استعمال الإمام (ع) للأداة (حتى) ، وهي إحدى أدوات السلم الحجاجي لترتيب حججه ؛ وذلك أن من وظائف التوالي الدلالي في إيراد الحجج ،

إذ ان الحجة الأولى أدت الى الحجة الثانية التي جاءت بمثابة نتيجة للأولى .

حال القوم في انقضاضهم على الإمام

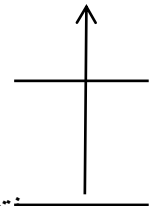

الحجة الأقوى — ظننت أنهم قاتليي أو بعضهم قاتلوا بعض

الحجة الأولى — فتداكوا علي تداك الإبل الهيم يوم ورودها

ثم يقول: "قلبت الأمر بطنه وظهره حتى منعني النوم " [٢٦].

استعمل الإمام هنا آلية أخرى من آليات السلم الحجاجي ، وهي (الاستعارة) إذ استعار لفظ البطن والظهر التي تدل على شيء مادي (للأمر) ، وهو شيء معنوي ، وهي ألفاظ تنتمي الى الحقل الدلالي الذي يضم ألفاظ الإنسان ، وما يتعلق به ، فهي ألفاظ تطلق على جهتي جسد الإنسان الأمامي والخلفي ، والاستعارة هنا تجسيدية ، فلما أراد الإمام التعبير عن تفكيره بالأمر والإحاطة به ودراسته من جميع جوانبه واحتساب عواقبه ، استعار له هذين اللفظين ويظهر التوالي الدلالي في استعارته للألفاظ التي يوصف بها العاقل ، وخروجها عن وظيفتها الأصلية في وصف أو تجسيد العاقل الى نسبتها لوصف الأمور والأشياء المعنوية اللامرئيّة ، وهذا التناوب هو نوع من أنواع توليد الاستعارات عن طريق توالي الألفاظ .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

فالذي يبدو من أول وهلة في النص، إن المقصود من قبل الإمام هو الظاهر والباطن، أو الأول والآخر، أو المتقدم والمتأخر... إلخ من المعاني الضدية ، إلا أن التوالي الدلالي بين هذين اللفظين يعكس حقيقة مفادها الكشف عن كل ما يدور حول الموضوع أو ما يتعلق به ، فقد كشف الأمر من كل حقائقه عن طريق لفظتي البطن والظهر ؛ لأنها توحي إلى معاني ودلالات ضدية متعددة وشاملة للوجه المقصود في النص .

ثم يقول: "فكانت معالجة القتال أهون عليَّ من معالجة العقاب، وموتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة " [٢٧] .

استعمل الإمام إحدى تقنيات السلم الحجاجي التي تمثلت بأفعل التفضيل (أهون) ؛ للمقارنة بين معالجة القتال ومعالجة العقاب ، وهما أمران اشتركا في معنى خاص واحد ، إذ فضَّل الإمام الطرف الأول على الطرف الآخر؛ لأنه زاد عليه في الهوان ، ثمَّ ينتقل مباشرة الى المقارنة بين موتات الدنيا وموتات الآخرة ، إذ اشتركت الدنيا والآخرة بالموت ، وفضل الأولى على الثانية ؛ لأنها أهون . ويأتي توظيف أفعل التفضيل هنا ؛ لأنه الآلية الأنسب للتعبير عن " شيئين اشتركا في معنى ، وزاد أحدهما على الآخر فيه ، ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أن يكون أمراً حميداً أو ذميماً " [٢٨].

وقد أدى أفعل التفضيل دوراً هاماً في تمكين المرسل من " إيجاد العلاقة بين أطراف ليس بينها أي علاقة بطبيعتها ، كما أنه يمكنه من ترتيب الأشياء ترتيباً معيناً فبدون استعماله ما كان لها أن تترتب "[٢٩] ، وهنا يظهر التوالي الدّلالي في الألفاظ بالترتيب بين أفعل التفضيل ، ودورها في تصوير حقائق النّص .

ومن أمثلته أيضا قوله في خطب أخرى :

" ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختياراً ، ولا تولهم محاباة وإثرةً ، فإنهم جماعٌ من شعب الجور والخيانة ، وتوخَ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم في الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرمُ أخلاقاً ، وأصح أعراضاً ، وأقل في المطامع اشرافاً ، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً ، ثم اسبغ

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

عليهم الأرزاق ؛ ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك ، أو ثلموا أمانتك "[٣٠] .

فقد استدل الإمام في هذه الخطبة على توالي دلالات أفعل التفضيل ، وهي : (أكرم أخلاقاً ، وأصح أعراضاً ، وأقل في المطامع ، وأبلغ في عواقب الأمور) ؛ لبيان تميزهم بالصفات التي اختارها ، إذ بنى النص على التكرار المتوالي لأفعل التفضيل فكان بمثابة آلية حجاجية تشكل مقياساً يستند إليه المرسل إليه فاختيار عماله ؛ لأن كلاً من المرسل والمرسل إليه اشترك في معرفتها ؛ لذا اعتمدها الإمام لتكون مقياساً لتقويم عماله وولاته في الأمصار الإسلامية المختلفة ، فهؤلاء العمال والولاة هم برأي الإمام الفئة الأعلى في سلم الحكم أو الإدارة من ناحية الأخلاق ، وسمعة الأعراض والبلاغة في الخطاب ، وما إلى ذلك ، وما سواهم هم دونهم في الرتبة والعمل ؛ لذا لجأ الى التوالي الدلالي في أفعل التفضيل دون غيرها من الأفعال .

ومن أمثله توالي أفعل التفضيل قوله: "لا تستحِي من إعطاء القليل ، فإنّ الحرمان أقل منه "[٣١] .

وهنا يأخذ التوالي نمطاً أخراً، وصورة مختلفة عن الصورة التي تقدم ذكرها من توالي دلالات أفعل التفضيل المختلفة واحداً تلو الآخر، ففي النص المتقدم تتميز صورة التفضيل بذكر الاسم القليل، وتوالي ذكر أفعل التفضيل (أقل) فعندما يأتي فعل التفضيل تالياً برتبته عن الاسم، هذا يدل على وجود جزء من كل، ولكن هذه الصورة الدلالية رسم بها الإمام بشاعة الحرمان الذي يستحق العون والمساعدة، ولو بأقل عطاء فإعطاء القليل صورة أفضل من إبقاء الحرمان دون عطاء.

قام الجزء الأول من كلام الإمام على النفي في إثبات صورة العطاء في قوله: لا تستحي من إعطاء القليل، وهذا النفي صور القدرة التشجيعية في الخطاب على العطاء، أكثر مدلولاً من الأمر به فهل تصل الصورة إلى المتلقي بالقول: (اعطي القليل) ، مثلما تصل في قوله: (لا تستحي من إعطاء القليل) .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي ٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

واستناداً الى هذه الصورة التعبيرية اشتق فعل التفضيل، (أقل) من ذات الأصل الذي اشتق منه الاسم القليل ؛ لتتوالى الدلالات في محور صورة العطاء والتشجيع .

ويدور في إطار هذه الصورة اللفظية قوله: "وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل"، في معرض وصفه لنعم الله تعالى قائلاً: وهو المنان بفوائد النعم ، وعوائد المزيد والقسم ، عياله الخلائق ضمِن أرزاقهم ، وقدر أقواتهم ، ونهج سبيل الراغبين إليه ، والطالبين ما لديه ، وليس بما سُئل بأجود منه بما لم يُسأل "[٣٢] وبهذا يكشف الإمام للمتلقي في النص المتقدم أن الله عزَّ وجلَّ، جواد بعطائه سواء كان قد سئل من قِبل عباده أم لم يُسال، وقد استطاع الإمام إيصال هذه الدلالة الى المتلقي ببلاغة عالية عن طريق أفعل التفضيل (أجود)، الذي شطر المعنى شطرين: ما قبل أفعل التفضيل، وهو السؤال، وما بعده وهو عدمه، فتكون أفعل التفضيل هنا حداً فاصلاً بالتوالي الدلالي تميّز رتب الجود ودرجاته من خلال السؤال أو عدمه .

وقد ورد في بعض خطب الإمام توالي رتبة الألفاظ في قوله: "أيها الناس إنه لا يستغني الرجل– وإن كان ذا مالٍ – عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه، وألمهم لشعثه، وأعطفه عليه عند نازلة إذا نزلت به ، ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خيرٌ له من المال يرثهُ غيره ، ألّا لا يعدلنَّ أحدكم عن القرابة ، يرى بها الخصاصة أن يسدها بالذي لا يزيده إنْ أمسكه ، ولا ينقصه إنْ أهلكه ، ومن يقبض يده عن عشيرته ، فإنَّما تقبض منه عنهم يد واحدة ، وتقبض منهم عنه أيدٍ كثيرة ، ومن تلن حاشيته يستدِم من قومِه المودَّة "[٣٣] .

يعرض لنا التوالي في هذا النص تقديم رتبة الأهم على المهم ، فقد قدم الأيدي على الألسن في دفاع الأهل أو العترة عن الرجل في قوله : (ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم) ، فالأيدي دلالة عن القوة الجسدية ، والألسن دلالة على قوة المنطق في إشارة إلى أن الدفاع عن الحقوق إذا لم يتأتى بالمنطق فيجب تقديم الدفاع عنه بالقوة ؛ لأن الحقوق مقدسة فوجب ضرورة الدفاع عنها، وللدفاع متوالية قِدَم ، قدَّم منها الإمام

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ما هو أهم على ما هو مهم ، ثم انتقل في نفس دائرة المعنى الى إثبات هذه الحقوق عن طريق توالي دلالات أفعل التفصيل في قوله : (وهم أعظم الناس حيطة) : أي هؤلاء الذين يدافعون عن حقوقهم بشجاعة ، وأعطفهم عليه عند نازلة إذا نزلت به ، وهم الذين يواسونه إذا ألمَّتْ به المصائب ، فهذه الاستراتيجية اللفظية في الخطاب تعكس قدرة التوالي الدلالي على كشف سياقات الدلالة الأكثر أهمية ، وهي لا غنى عنها ، ولا سيما في الخطاب المباشر ، فيجب الاستعانة بتقديم الأهم على المهم حفاظاً على البلاغة واكتناز المعنى .

ومنه أيضاً قوله في عتابه لأحد ولاته: "بلغني إنك جردت الأرض، فأخذت ما تحت قدميك، وأكلتَ ما تحت يديك" [٣٤].

وهنا تكمن قوه البلاغة وبلوغ المعنى عن طريق الوصول إلى أدوات المعنى وما يدل عليه ، وذلك بالابتعاد عن المدلول إلى الدال الذي يؤدي إلى الإحالة فتؤكد الفائدة من تحقيق المعنى وهي تؤدي أيضاً الى المجاز ، فلم يقل الإمام مباشرة لأحد ولاته أنك تصرفت بأموال المسلمين التي بعهدتك وأمانتك فاستعار لهذا المعنى ما يدل عليه ، وهو أكل كل شيء تناله اليد او يقع بمتناولها ، وهنا يتخاذل المدلول ليفسح للدال للتقدم وإيصال المعنى [٣٥].

وقد يأتي التوالي الدّلالي عن طريق التكرار المتناوب لأساليب متعددة كقوله: "لو كان المال لي لسويتُ بينهم ، فكيف والمالُ مالُ الله ، ألا وأن إعطاء المال في غير موضعه التبذير" [٣٦].

فذكر لفظ المال أربع مراتٍ في سياق جملة متنوعة الأساليب ، وظّف من خلالها الإمام الاستفهام التقريري وفقاً ، لما يقتضيه الاستلزام الحواري كحجة بالقصد التلميحي في ضمن استراتيجية الاقناع عند الخطيب ، وهو بذلك يقرر حقائق متفق عليها بين المسلمين ، وهي (إن المال مال الله) ، فهو يدرك مسبقاً أن المرسل إليه لا يخالفه في هذا الأمر، فاستعمل هذه الآلية الحجاجية دون غيرها ؛ ليكون السؤال

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

فيها أشد وقعاً وتأثيراً وإقناعاً للمتلقي ، وأقوى حجة عليه فضلاً عن اجتماع التكرار اللفظي مع الاستفهام لإنتاج توالياً دلالياً فعالاً في إلقاء الحجة .

إذ " أن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما ، إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما ، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم "[٣٧].

ويستمر الإمام في إلقاء الحجج عبر التكرار المتناوب في قوله: "إن المسكين رسول الله ، فمن منعه فقد منع الله ، ومن أعطاه فقد أعطى الله "[٣٨].

فيأتي هذا التوظيف بالتكرار اللفظي المتمثل بالسجع من خلال المزج بين أكثر من شكل من أشكال التوالي في سياق واحد، وهو من قبيل الزخرف اللفظي والموسيقي ، الذي يلفت الانتباه ويشد الأسماع ، فهو في الوقت ذاته ذات قيمة حجاجية ، تمكنت من إحداث تغير في الرؤية عند المتلقي بعد إدراك دورها في إلقاء الحجة.

وقد يؤدي التكرار المتوالي في السجع الى لفت انتباه المتلقي نحو المقصود من قبل الخطيب ؛ وذلك لما يحدثه من تأثير موسيقي في أسماع المتلقين ، كما في قوله (ع) : "لكلِّ أمرئ في ماله شريكان ، الوارث والحوادث" [٣٩].

فلو كانت صيغة المقصود من هذا المعنى بعيدة عن السجع، لما كان الانتباه إليها بهذا المستوى من الجذب وقوة التأثير.

ويدور حول هذا المعنى قوله: " فمن أتاه الله مالاً فليصل به القرابة ، وليحسن به الضيافة "[٤٠]

ومنه قوله: "وإنَّ لكَ في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً "

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وفي هذه النماذج نلحظ أن الإقناع هو محور الخطاب الحجاجي؛ "نظراً الى كونه محدد المقام والمخاطب والإطار القولي ، أما أهم وظيفة حجاجية في هذا المجال، بعد الإعداد لقبول الأطروحة أو الفرضية ، فهي الدفع إلى العمل"[٤١]

لقد أدى تكرار بعض الأفعال في الخطب الى تحقيق غاية يقتضيها السياق، فالتكرار الذي حصل في أفعل التفضيل مصحوباً بالنفي أدى فائدة معنوية وصوتية في آن معاً ؛ لأن التكرار لم يخل بسياق النص ، وإنما زاده قوة وجمالاً ، كما أسهم في خلق تنغيماً موسيقياً تناغم مع المعنى الذي أراده الإمام متمثلاً بالسجع .

فالتكرار المتوالي الدلالة بوصفه بنية أسلوبية يستطيع تحقيق أعلى المستويات في خطب الإمام علي (ع) من خلال انسجامه مع الموقف أو الحدث الذي يرد لأجله ، وسواء أكان الحدث أو الموقف خطبة يتحدث فيها عن عظمة الله ،عزَّ وجلَّ، أو خطبة حربية ، أو خطبة زهدية، فالبحث لم يجد أي تكلف عند حضوره في تلك الخطب من غير أن يغيب الأثر الإيقاعي الذي يتركه في نفسية كل متلق بالتوالي الدلالي اللفظي[٤٢].

الخاتمة:

ورد ذكر مصطلح (التوالي) عند بعض علماء اللغة المحدثين دالاً على توالي الصفات أو الأحوال أو الأخبار، وينطبق على دلالة المصطلحات التي تتخذ دلالات متتالية بالمقابلة أو الأضداد أو الأخبار أو الأساليب الأخرى في النص .

ولما كانت الرغبة في تحصيل الإقناع هي الغرض الأعلى لكثير من الخطابات ولاسيما في عصر الإمام علي (ع) ، إذ كانت مرحلة مليئة بالتجاذبات والانقسامات السياسية والمذهبية ، التي تغيرت معها ثقافة المتلقي وإدراكه ، فلم يعد يتقبل الاستراتيجيات التي تتجه بذهن المتلقي نحو الفكرة أو المضمون بأسلوب

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

مباشر ؛ لذا فضَّل الإمام استعمال استراتيجية الإقناع ، ولو كان ذا سلطة تخوله استعمال الاستراتيجيات الأخرى ، ولاسيما التوجيهية منها .

وقد كشف البحث عن وجود جملة من الاستراتيجيات التلميحية بآلياتها المختلفة في نصوص الإمام علي (ع)؛ وذلك للتعبير عن الأحداث التي وردت في نصوص الخطب بالاستعارة والكناية والاستفهام القائمة على التوالي الدلالي .

ويظهر من خلال التوالي بين هذه الأساليب وجود علاقة مع بعضها البعض ، إذ تعبر عن القصد الواحد بأساليب متعددة فعبر الإمام (ع) عن تخاذل بعض أصحابه بآليات متعددة ، منها الأفعال اللغوية والاستفهام والكناية والاستعارة ، وقد اتضحت مهارة الإمام علي (ع) في توظيف هذه الأساليب بطريقة تنم عن عبقريته وتفرده بهذه الكفاءة اللغوية والتداولية ، وبما يتفق مع ثقافة المتلقي ومخزونه اللغوي وذوقه البلاغي الذي يمكنه من التأويل ومعرفة قصدية الخطاب بطريقة غير مباشرة ، الأمر الذي هيأ استعمال أكثر من آلية تلميحية في السياق ذاته عن طريق التوالي الدلالي ، فتتوالى الأساليب والتراكيب والألفاظ للوصول إلى الدلالة المقصودة بطريقة غير مباشرة .

الهوامش:

---

١ لسان العرب :٦/٢٢٣ ، مادة (تلا)

٢ ينظر : خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم : ١٠٧ .

٣ نهج البلاغة ، العطار : ١٢٤ .

٤ استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية : ٤٤٦ .

٥ نهج البلاغة ، العطار : ١٢٤.

٦ استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية : ٤٨١ .

٧ البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار :٤٠٠.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

٨ ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية : ٣٧٩ .

٩ شرح الرضي على الكافية : ١٥٠/٣ .

١٠ دلائل الإعجاز : ٦٦٠ .

١١ ينظر : المصدر نفسه : ٤٣٠ .

١٢ مفتاح العلوم : ٤٠٢ .

١٣ فقه اللغة وسر العربية : ٢٩٣ .

١٤ ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية : ٣٧٣ .

١٥ نهج البلاغة ، العطار : ١٢٤.

١٦ المصدر نفسه : ١٢٤.

١٧ المصدر نفسه : ١٢٤ .

١٨ ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني : ٥٩١ .

١٩ استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية :٥٢١ .

٢٠ نهج البلاغة ، العطار: ١٢٤.

٢١ المصدر نفسه : ١١٣ .

٢٢ ينظر : العمدة : ٢٦٨/١ .

٢٣ ينظر : أسرار البلاغة : ١١٨ .

٢٤ ينظر : مفتاح العلوم : ٤٦٤ .

٢٥ نهج البلاغة ، العطار : ١١٣ .

٢٦ المصدر نفسه : ١١٣ .

٢٧ المصدر نفسه : ١١٣ .

٢٨ النحو الوافي : ٣٩٥/٣ .

٢٩ استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية : ٥٢٨ .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

٣٠ نهج البلاغة ، محمد عبده :٩٥/٣ .

٣١ بحار الأنوار : ٩٣ / ١٧٢ .

٣٢ شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد : ٦/ ٣٩٨ .

٣٣ نهج البلاغة : بهجت العطار : ٧٩ ،٨٠ .

٣٤ شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد : ١٦ /١٦٤ .

٣٥ ينظر: خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم : ١١٠ .

٣٦ ميزان الحكمة : ٤/ ٢٩٩٦ ، ونهج البلاغة ، محمد عبده : ٧/٢ .

٣٧ البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار : ٣٩٩ .

٣٨ شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد : ١٩ / ٢١٠

٣٩ المصدر نفسه :١٩ / ٢٥١ ، بحار الأنوار : ٧٠ / ١٤٤ .

٤٠ نهج البلاغة ، محمد عبده : ٧٤/٩ ، وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) : ٩ / ١١٨ .

٤١ John R. searl : Expresson and meaning ,Ipid ,p٤٩.

٤٢ ينظر : المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (ع) دراسة بلاغية : ٧٩ ، ٨٠ .

المصادر والمراجع:

١. استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية ،عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤م .

٢. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، شرح وتعليق وتحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ،وعبد العزيز شرف ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

٣. بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، جمعه : محمد باقر المجلسي ، مؤسسة دار الكتب الإسلامية ، طهران .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

٤. البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار ، ضمن كتاب : أهم نضريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، محمد علي القارصي ، بإشراف : حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، كلية الآداب ، منوبة ، تونس ، ١٩٩٨م .

٥. الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة ، والأستاذ محمد نديم فاضل ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .

٦. خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم ، تمام حسان ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ –٢٠٠٦م .

٧. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٠هـ .

٨. شرح كافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) ، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه ، د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م .

٩. شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، ١٣٧٨هـ ، ١٩٥٩م .

١٠. العمدة ، في محاسن الشعر وآدابه ، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .

١١. فقه اللغة وسر العربية ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل بن منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، إحياء التراث العربي ، ط١ ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

١٢. لسان العرب ، محمد ابن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور ، (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٤١٤هـ .

١٣. المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (ع) دراسة بلاغية ،حيدر أحمد الزبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٣

١٤. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م .

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة

١٥. موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ، الشيخ هادي النجفي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢
١٦. ميزان الحكمة ، محمد الشهري ، تحقيق دار الحديث ، ط١ ، (د.ت) .
١٧. النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف ، ط٤ ، (د.ت) .
١٨. نهج البلاغة ، وهو ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع) ، تحقيق : الشيخ قيس بهجت العطار ، مؤسسة الرافد للمطبوعات ، قم ، ط١ ، ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م .
١٩. نهج البلاغة ، خطب الإمام علي (ع) ، شرح محمد عبدة ، ط١ ، ١٤١٢ ، ١٣٧٠ش .

المراجع الأجنبية:

John R. searl : Expresson and meaning ,Cambridg ,University Press ,USA , 1999.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0 International License.
الدولي.٤,٠ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي -مجلة مركز دراسات الكوفة